العربي الصغير
ملحق «العربي» بالمجان – العدد ٦١
رجب ١٣٨٣ – ديسمبر / كانون أول ١٩٦٣
علي بابا
"والأربعين حرامي"
قبل سنوات عديدة كان يعيش في
بلاد فارس أخوان أحدهما اسمه
قاسم والآخر اسمه علي بابا . كان

علي بابا فقيرا جدا اما قاسم فقد كان غنيا وتزوج امراة غنية . وكان علي بابا يكسب رزقه من قطع الخشب وبيعه .

وفي احد الايام ذهب علي بابا الى الغابة كعادته وفجاة راى سحابة كبيرة من الغبار على مسافة بعيدة . وظن انها عصابة من اللصوص تقترب منه فتسلق شجرة واختفى بين اغصانها .

اقترب الرجال ووقفوا بالقرب من جذع الشجرة حيث ترجلوا عن خيولهم واستطاع علي بابا ان يعدهم من مكمنه فوجدهم اربعين شخصا كان كل واحد منهم يحمل اكياسا ثقيلة ظن علي بابا انها تحوي ذهبا وفضة .

تقدم زعيم اللصوص من صخرة كانت بالقرب من الشجرة التي كان علي بابا مختفيا فيها وقال الرجل : « افتح يا سمسم » وحينما قال هذا فتح باب في الصخرة دخل منه جميع الرجال ومن ثم اغلق الباب خلفهم .

لم يعرف علي بابا ماذا يفعل . ولم يستطع ان ينزل من الشجرة التي يختبيء بين اغصانها اذ لو فعل ذلك فقد يراه احد اللصوص قبل ان يتمكن من الفرار وسيقتل لانه اكتشف المكان الذي يختبئون فيه فصمم على الانتظار .

وبعد وقت قصير فتح الباب مرة ثانية وخرج اللصوص وعدهم قائدهم وبعد ذلك صاح : « اقفل يا سمسم » واغلق الباب . وامتطى اللصوص جيادهم وذهبوا .

وحينما تاكد علي بابا ان اللصوص قد ذهبوا نزل من الشجرة . وراى الباب الموجود في الصخرة خلف بعض الشجيرات الصغيرة فاتجه نحوه وقال : « افتح يا سمسم » . وفتح الباب في الحال . ودخل علي بابا ولشد ما كانت دهشته حينما وجد نفسه في غرفة كبيرة جدا مضاءة بنور الشمس الذي يدخل اليها من ثقب في الصخرة . وتلفت علي بابا حوله فراى اكواما من الذهب والفضة ، والاقمشة الحريرية والسجاد الفاخر ، فحمل ما استطاع من اكياس الذهب وغطاها بالحطب كي لا يراها احد . وخرج من الكهف وقال : « اقفل يا سمسم » . واغلق الباب في الحال .

ولما عاد علي بابا الى بيته رات زوجته اكياس الذهب فظنت اول الامر انها مسروقة ولكن حينما روى لها علي بابا القصة فرحت كثيرا ، ودفناها في ارض بيتهما ، وحذرها علي بابا من ان تخبر احدا . وارادت

زوجة علي بابا ان تكيل الذهب فخرجت من البيت الى بيت قاسم وطلبت من زوجته وعاء لتكيل به . وكانت زوجة قاسم ماكرة فارادت ان تعرف ماذا يريد علي بابا وزوجته ان يكيلا فالصقت بالوعاء قطعة عجين . ولما اعادت زوجة علي بابا الوعاء رات زوجة قاسم قطعة ذهب لاصقة به فعرفت ان علي بابا كال به ذهبا فاخبرت زوجها بالقصة حينما عاد في المساء الى البيت . فذهب قاسم الى اخيه وساله من اين حصل على هذه الثروة فاخبره علي بابا بالقصة ، وعرض عليه ان يعطيه نصف الكنز . ولكن قاسما كان انانيا وطماعا فلم يكتف بنصف الكنز فهدد اخاه بانه سيخبر السلطان ان لم يدله على مكان الكنز ، وطريقة فتحه .

ورضخ علي بابا للتهديد واخبر اخاه بكل شيء . فذهب قاسم الى الكهف وقال : « افتح يا سمسم » ففتح الباب ودخل قاسم وحمل ما قدر عليه من الكنوز والمجوهرات الثمينة ثم اراد ان يخرج لكنه نسي كلمة السر التي تفتح الباب فظل حائرا ، حتى فوجيء بوصول اللصوص ووجدوه داخل المغارة فهموا بقتله ولكنه طلب منهم ان يبقوا على حياته مقابل ان يدلهم على من اكتشف مخباهم وسرق كنزهم ودله على مكانه ، واقترح عليهم ان يتخفى زعيمهم في شكل تاجر ويضع رجاله في جرار كبيرة تحملها البغال بحيث تصل الى بيت علي بابا عند المساء فيستاذنه التاجر في ان يقضي ليلة عنده خوفا على تجارته . وعند منتصف الليل يخرج الرجال من الجرار ويقتلون علي بابا ويسلبون كل ما في قصره . وفعلا ذهبوا ، فرحب علي بابا بالتاجر وهيا له غرفة في منزله بعد ان وضع الجرار التي زعم انها مملوءة زيتا ، في ساحة البيت . .

وفي الليل نفد زيت احد المصابيح وانطفا ، ولم يكن في البيت زيت ففكرت الخادمة في ان تملا المصباح من احدى جرار التاجر دون ان يؤثر ذلك عليه ، ولم تكد تقترب من احدى الجرار حتى سمعت همسا فاصغت جيدا واذا بصوت رجل في داخل الجرة يقول ، هل حان الوقت ايها الرئيس . فعرفت المكيدة المدبرة ، واسرعت الى علي بابا وقالت له ان الضيف الذي يبيت في منزلك ليس تاجرا بل هو زعيم عصابة للصوص يختبيء رجالها داخل الجرار ، فاستدعى علي بابا رجال الشرطة وقبضوا على اللصوص وساقوهم الى الوالي الذي امر بحبسهم جميعا ومن بينهم قاسم . . اما الخادمة الذكية فقد كافاها علي بابا بمبلغ كبير من النقود وزوجها لابن اخيه قاسم .

■■

قصة التمييز العنصري في أمريكا

كان عدد قليل من العائلات يعامل العبيد معاملة انسانية . ولكن الطبقة الارستقراطية في الولايات الامريكية الجنوبية كانت تحتقر كل من يعامل العبيد معاملة حسنة . وهذا عبد يعمل خادما في بيت احدى الاسر الثرية في ظروف افضل من تلك التي يعمل فيها اقرانه في المزارع .

كان الكرباج هو رمز السلطة واداة العقاب . وكان اصحاب المزارع يرهقون عبيدهم في العمل الشاق ما بين ١٥ و ١٦ ساعة يوميا . ولم يكن اصحاب المزارع يعرفون الرحمة او الشفقة في معاملة عبيدهم .

في شهر مارس من عام ١٨٥٢ نشر كتاب في الولايات المتحدة كان له تأثير كبير على الوف القراء ، وعلى مستقبل امريكا .

ومؤلفة الكتاب هي هناريت بيتشر ستاو ، زوجة استاذ امريكي . واسم الكتاب هو « كوخ العم توم » ، وهو واحد من اكثر الروايات التي كتبت على الاطلاق نجاحا . فقد بيع منه ثلاثمائة الف نسخة في سنة واحدة وهو رقم قياسي في تلك الايام . وقد اصبح الكتاب مشهورا في جميع انحاء الولايات المتحدة واوروبا وترجم الى اكثر من عشرين لغة منها اللغة العربية . لقد كان الكتاب هجوما على نظام الرق والعبودية في امريكا كما كان ينطوي على قصة مؤثرة وشخصيات لا تنسى . ولم يكن في الامكان تجاهل الكتاب او اهماله لانه يستند الى

عبده زنجية مع طفلها

حقائق دامغة وتصور الحالة السيئة المخيفة المرعبة للعبيد في بلد متحضر كالولايات المتحدة .

لقد شرح كتاب « كوخ العم توم » في أسلوب قصصي المشاعر والاعتقاد الذي كان ينمو ويتزايد في الولايات الشمالية لسنوات عديدة : وهو أن الرق نظام خاطىء اطلاقا ولا يجدر بأمة عظيمة نمت وترعرعت في ظل الكفاح من اجل الحرية ان تمارسه .

لقد قال اهل الولايات الشمالية : « ان العبودية يجب ان تنتهي بطريقة ما » وذلك حينما ادلوا بأصواتهم لابراهام لنكولن سنة ١٨٦٠ . ولكن أهل الولايات الجنوبية اجابوهم حينما انفصلوا عن الاتحاد قائلين : « ولكنه لا يمكن ان ينتهي لان نهايته معناها دمارنا » .

ولكن السؤال هو كيف حدث كل ذلك .

العبيد الأوائل

بدا نظام الرق – العبودية – في الاقاليم البريطانية في امريكا عام ١٦١٩ حينما افرغت سفينة هولندية شحنة من العبيد جاءت بهم من ساحل غينيا لبيعهم من اجل العمل في مزارع التبغ، وبعد هذا تم شحن اكثر فاكثر من الزنوج الى المستعمرات الامريكية ولم يات عام ١٧٧٦ الا وقد اصبح عدد العبيد في امريكا نصف مليون عبد تقريبا . كان البريطانيون يسيطرون على اكثر من نصف تجارة الرقيق الافريقي وكانت ١٩٢ سفينة تستطيع حمل ٤٧٠٠٠ عبد تبحر سنويا من الموانىء البريطانية : من ليفربول ولندن وبريستول . وبازدياد الطلب على العبيد اخذ تجار الرقيق يشنون الغارات على القرى الواقعة في داخل افريقيا . وكانت القبائل المتحاربة تبيع اعداءها كي تستمر في تزويد الاعداد اللازمة من العبيد لسد الحاجة المتزايدة اليهم . وكان الاسرى يربطون من اعناقهم ويساقون وسط الغابات كالحيوانات تحت لهيب الشمس لايام عديدة الى ان يصلوا الى الساحل . وهناك يكون التجار الاوروبيون موجودين لمعاينتهم وفحصهم وكان الشباب منهم والاصحاء يوسمون بواسطة قطعة حديد محمية بالنار ويحملون في السفن كقطعان الماشية .

عبور الاطلسي

كانت الرحلة من افريقيا الى امريكا – وتعرف بالطريق المتوسط – تستغرق شهرين وكانت مرعبة مخيفة للافريقيين الذين كانوا يحشرون حشرا على ظهر السفن في احوال غير صحية اطلاقا . مكبلين بالقيود والسلاسل الحديدية . وكان ربع العبيد يموت سنويا اثناء الرحلة من الحمى والامراض التي كانت تنتشر بينهم انتشار النار في الهشيم .

ولم يات منتصف القرن التاسع عشر حتى كان عدد العبيد في امريكا قد وصل اربعة ملايين ولكن ٥٠ الفا من هؤلاء فقط كانوا يعيشون في الولايات الشمالية . وكلما اخذ سكان الولايات الشمالية يعارضون نظام الرق اكثر فاكثر كان أهل الجنوب يمعنون في الدفاع عن هذا النظام الخاص ويستفيدون منه في كل اجزاء الجنوب في ولايات فرجينيا وكارولينا الشمالية وجورجيا والمسيسبي ولويزيانا . لقد كان العبيد يشكلون جزءا حيويا من اقتصاد تلك الولايات ومصدرا هاما للايدي العاملة وهم فوق ذلك كله يعتبرون اموالا قيمة . كان معظم العبيد تابعين لكبار أصحاب المزارع والاقطاعيين وكانوا يشتغلون في زراعة القطن وقصب السكر ومستنقعات الارز . وقد كان لاكتشاف محالج القطن التي تفرز القطن عن بذره ، اهمية في جعل القطن اهم المحاصيل في الجنوب ولما كانت زراعة القطن لا تحتاج الا لمهارة قليلة فقد كانت أسر بكاملها من الزنوج تستخدم كعمال تحت ارشاد مراقبين .

الظروف التي كان العبيد يعيشون فيها

كانت بعض عائلات المزارعين التي تملك الارض والعبيد لعدة اجيال تعطف على هؤلاء العبيد وتعاملهم معاملة انسانية وتفخر بعملها هذا . وكان العبيد الذين يعملون في البيوت يحظون بعطف خاص ويعتبرون كجزء من الاسرة . ولكن الارستقراطيين في الولايات الجنوبية الذين كانوا يحتقرون كل من يعامل العبيد معاملة سيئة كانوا قلة ولا يتعدون جزءا ضئيلا من مجموع مالكي العبيد . وحتى هذه القلة لم تستطع حماية عبيدها من بيعهم بعد موت صاحب المزرعة حتى ان الازواج والزوجات والآباء والاطفال كثيرا ما كانوا يرسلون الى اجزاء مختلفة من البلاد ولا يلتقون ابدا .

كان اصحاب المزارع يرهقون العبيد في الاعمال الشاقة اذ كان هؤلاء العبيد يعملون من ١٥ – ١٦ ساعة يوميا اثناء موسم الحصاد مما يسبب اضرارا جسيمة لصحتهم . وكان الكرباج هو اداة العقاب وكان رمز السلطة وشعارها .

ومن مالكي العبيد من هو اقل عنفا وقسوة في معاملة عبيده . وليس السبب في ذلك هو الشعور الانساني بل ان امتناعهم عن استعمال القسوة والعنف سببه ان قيمة العبد تقل اذا ما اصيب باضرار جسيمة . لقد كان لاصحاب المزارع الذين هم في الوقت نفسه مالكو العبيد سلطان ليس له حدود على عبيدهم ولم يكونوا يعرفون الرحمة او الشفقة في معاملتهم . وكان العبيد الهاربون يطاردون ويصطادون بواسطة كلاب الصيد المتوحشة وبواسطة بنادق الصيد ويعاقبون بوحشية . وحتى في حالات القتل لم يكن لشهادة العبد ضد الرجل الابيض اى وزن . وكانت اجيال العبيد الافريقيين المتلاحقة تجبر على الشعور بالضعة والنقص بسبب لون بشرتها كما توضع في مركز يجعلها تعتمد اعتمادا كليا على سادتها الذين يتمتعون بالنفوذ والسلطة .

كقطعان الماشية كان العبيد يحشرون ويحشرون فى السفن التى كانت تنقلهم من افريقيا الى امريكا عبر المحيط الاطلنطي وهم مكبلون بالقيود والسلاسل بعد ان يكونوا قد وسموا بقطعة من الحديد المحمية . وكانت ١٩٢ سفينة تبحر من الموانىء البريطانية سنويا الى امريكا وتبلغ حمولتها حوالى ٤٧٠٠٠ عبد .

نهاية القصة

كانت هذه هى حالة العبيد فى امريكا فى سنة ١٨٥٠ وما بعدها حينما ثارت مسالة بسط نظام الرق وامتداده الى الولايات الجديدة فى الغرب . وقد اثار ذلك سؤالا آخر وهو هل يجب ان يكون شعب الولايات المتحدة نصفه حرا ونصفه عبيدا مما ادى الى قيام الحرب الاهلية الامريكية سنة ١٨٦١ . وامتدت الحرب حتى شهر ابريل ١٨٦٥ وفى ديسمبر ١٨٦٥ اجرى تعديل على الدستور الغى بموجبه نظام الرق الى الأبد فى جميع انحاء الولايات المتحدة وهكذا انتهت العبودية فى امريكا قبل ٩٨ سنة .. او قبل ثلاثة اجيال . ولم يقتصر نظام الرقيق على امريكا فقد وجد هذا النظام فى المستعمرات البريطانية واستمر حتى سنة ١٨٣٣ ولم يلغ الا بعد مقاومة عنيفة له وكذلك مارست هذا النظام دول اوروبية اخرى « متحضرة » هى فرنسا والبرتغال وهولندا وبلجيكا .

تصدر وتطبع فى الكويت